﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النّمل: 19]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربْطُ تبسُّمِ سليمانَ عليه السلام ودعائِهِ، بما سبق من سماعِه قولَ النَّملةِ

لمّا ذكرت الآية السابقة نداءَ النَّملة للنمل بقولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾؛ خوفًا عليهم من سليمان وجنوده أن يحطِّموهم، وهم لا يشعرون؛ بيَّنت هذه الآيةُ موقفَ سليمان عليه السلام من نداء النملة بأنَّه تبسَّم ضاحكًا من قولها؛ لوصفها لجنوده بأنَّهم لا يعمدون إلى الشَّرِّ، ولا يُبيِّتون النيَّة لفعله.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَبَسَّمَ﴾: (بسم) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ إبْداءُ مُقَدَّمِ الفَمِ لِمَسَرَّةٍ، وهوَ دونَ الضَّحِكِ، يُقالُ: بَسَمَ يَبْسِمُ وتَبَسَّمَ وابْتَسَمَ[1]، وبَسَمَ يبسم بسمًا؛ إذا فتح شفتيه كالكاشر، والمُرادُ: كَشْرُ الشَّفَتَيْن عن الأسنان، ومن هذا استُعمل وغلب في التَّبسُّم الذي هو أقلُّ الضَّحك وأحسنه؛ لأنَّه يكون بفتح الشَّفتَيْن قليلًا[2].

2) ﴿ضَاحِكًا﴾: (ضحك) قَريبٌ مِنَ البابِ الَّذي قَبْلَهُ، وهوَ دَليلُ الانْكِشافِ والبُروزِ، مِنْ ذَلِكَ الضَّحِكُ، ضَحِكُ الإنْسانِ[3]، والضَّحك: انبساطُ الوجه وتكشُّر الأسنان من سرور النَّفس، ولظهور الأسنان عنده؛ سُمّيت مُقدِّمات الأسنان (الضواحك)، واستُعير الضَّحك للسُّخرية، فقيل: (ضحكت منه)، قال تعالى: ﴿وَكُنتُم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسم).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بسم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضحك).

مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: 110]، ويُستعمل في السُّرور المُجرَّد، نحو: ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: 39]، واستُعمل للتَّعجُّب المُجرَّد تارةً[1].

3) ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: (وزع) بناءٌ مَوْضوعٌ عَلَى غَيْرِ قياسٍ، ووَزَعْتُهُ عَنِ الأَمْرِ: كَفَفْتُهُ، قال اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، أَيْ: يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، ويُقالُ: أَوْزَعَ اللهُ فُلانًا الشُّكْرَ: أَلْهَمَهُ إيَّاهُ، ويُقالُ: هوَ مَنْ أوزِعَ بِالشَّيْءِ؛ إذا أولِعَ بِهِ، كَأَنَّ اللهَ تَعالَى يولِعُهُ بِشُكْرِهِ[2].

4) ﴿تَرْضَىٰهُ﴾: (رضي) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلافِ السُّخْطِ[3]، ورِضا العبدِ عنِ اللهِ: ألّا يكرهَ ما يَجْري بِهِ قضاؤُهُ، ورِضا اللهِ عنِ العبدِ: هو أنْ يراهُ مُؤتمِرًا لأمرِهِ، ومُنتهيًا عن نَهْيِهِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: 119]، وقالَ: ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 18][4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نِعَمُ اللهِ على سليمانَ، أدخلت عليه السُّرورَ، مع توخّي الشُّكرِ والعملِ الصّالحِ

بيَّنت هذه الآية أنَّ سليمان ﷺ تبسَّمَ ضاحكًا مِنْ قولِ النَّملةِ الَّتي قالَتْ ما قالَتْ تعجُّبًا وسرورًا، وقالَ: ربِّ ألهِمْني أنْ أشكرَ نِعَمَكَ الدّينيَّة والدُّنيويَّة الَّتي أنعمتَ بها عليَّ وعلى والديَّ، وأنْ أعملَ بطاعتِكَ وما ترضاهُ، وأدخِلْني الجنَّةَ في زُمْرةِ عبادِكَ الصّالحينَ[5] برحمتك الواسعة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾:

إظهارُ الفرحِ بنعمةِ اللهِ تعالى، إقرارٌ بعطائه وفضله

الفاءُ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾؛

(1) الراغب، المفردات: (ضحك).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وزع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رضي).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 440، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 183.

للسَّببيَّةِ، وهي تُفيدُ تسبُّبَ التَّبسُّمِ عن قولِ النَّملةِ[1]، وقيلَ: الفاءُ فصيحةٌ، وهي تدلُّ على معطوفٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (فسمعَ قولها، فتبسَّمَ)، وكونها للسَّببيَّة أَوْلَى؛ لأنَّه لا حاجة إلى تقدير معطوفٍ عليه؛ إذ السَّببُ عامٌّ للسَّبب البعيد[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

التَّنبيهُ على تحقُّقِ الفعلِ ووقوعِهِ، بقرينة كونه ماضيًا

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ دون المضارع (يتبسم)؛ لأنَّ تبسُّمَ سليمانَ عليه السلام أمرٌ قد تحقَّقَ، ومضَى، ولأنَّ تصويرَ مشهدِ التَّبسُّم واستحضاره ليس مقصودًا في عرض المشهد بقدر الإعلام على وقوع التَّبسُّم وتحقُّقه.

سِرُّ التَّقييدِ بلفظ: ﴿ضَاحِكًا﴾:

تأثُّر سليمانَ بقول النَّملة، ملأه ضحكًا وسرورًا

دلَّ التَّقييد بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ في قولِ عزَّ شأنُهُ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ على أنَّه تجاوزَ حدَّ التَّبسُّم إلى الضَّحكِ[3]، أيْ: فتبسَّمَ شارعًا في الضَّحكِ وآخذًا فيه، وفيه إشعارٌ بقوَّةِ تأثيرِ قولِها فيه عليه السلام، حيثُ أثر فيه، فتجاوزَ حدَّ التَّبسُّم آخذًا في الضَّحكِ، ولم يكنْ حالُهُ التَّبسُّمَ فقط، وكأنَّهُ لمّا لم يكنْ قولُ: (فضحكَ مِنْ قولِها) في إفادةِ ما ذُكِرَ مِثْلَ ما في النَّظمِ الجليلِ؛ لم يُؤْتَ بهِ[4]، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ منصوبًا على الحال، وقيلَ: إنَّ ﴿ضَاحِكًا﴾ حالٌ مُقدَّرةٌ، وفائدتُها بيانُ أنَّ التَّبسُّمَ قد يكونُ مِنْ غضبٍ، وقد يكونُ مِنِ استهزاءٍ، وتبسُّمُ الضَّحكِ لا يكونُ إلّا عن سُرورٍ[5]، وهذا قولٌ فيهِ نظرٌ[6]؛ لأنَّهُ لا يُسلَّمُ أنَّ الضَّحك لا يكونُ إلّا عن سُرورٍ وفرحٍ، بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 144، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 39.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 266.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 356، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 549.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 175.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 222.
(6) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 39.

﴿٢٩﴾ [المطفِّفين: 29]، فإنَّ هذا الضَّحكَ كانَ مِنْ مُشركي قريشٍ؛ استهزاءً بفُقَراءِ المؤمنينَ، ولم يكنْ للسُّرورِ والفرحِ.

دلالةُ الجمع بين (الضَّحك) و(التَّبسُّم):

التَّبسُّم وحده قد يكون لأمرٍ غير ذي بالٍ، وكذلك الضَّحك وحده

جمع القرآنُ الكريم بين التَّبسُّم والضَّحك، فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾، ولم يقل: (فتبسَّم) فقط أو (ضاحكًا) فقط؛ لأنَّ التَّبسُّم وحده قد يكون لأمرٍ غير ذي بالٍ، ولأنَّ الضَّحك وحده قد يكون للاستهزاء وعدم التَّصديق، فجمع بينهما؛ ليُؤكِّد أهميَّةَ ما جاء في قول النملة وقيمتَهُ، وهي تنادي على النَّمل، وفيه دلالةٌ على وقوع التَّبسُّم والضَّحك عند وجود أسبابِهما، كما وقع من سليمان ﷺ، وهو نبيٌّ، وفعل الأنبياء حُجَّة.

سِرُّ تقديمِ (التَّبسُّم) على (الضَّحك):

التَّبسُّم والضَّحك كلاهما تعبير عن السُّرور، والأوَّل توطئة للثّاني

قدَّمَ القرآنُ الكريم التَّبسُّمَ على الضَّحك في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾؛ لأنَّ التَّبسُّم يسبق الضَّحك عادةً، وعلى هذا يكون المعنى: (تبسَّم شارعًا في الضَّحك وآخذًا فيه)، وفي هذا دلالة على مراعاة التَّرتيب الوجوديِّ، على رأي مَنْ فرَّق بينهما، وهو الأَوْلى، فالتَّبسُّم مبدأُ الضَّحك من غير صوتٍ، والضَّحك انبساطُ الوجه حتى تظهرَ الأسنانُ من السُّرور مع صوتٍ خفيٍّ، أمّا مَنْ ذهب إلى اتِّحاد التَّبسُّم والضَّحك، فخَصَّ ذلك بما كان من الأنبياء ﷺ، فإنَّ ضحكهم تبسُّمٌ، والأَوْلى التَّفريق بينهما، وممّا يُؤكِّد ذلك: أنَّ التبسُّم يكون مقابلًا للضَّحك، ومخالفًا له في الحُكْم، حيث لا تبطل الصَّلاة بالتَّبسُّم، إنَّما تبطل بالضَّحك[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مِّن﴾ في الآية الكريمة:

بيانُ أنَّ تبسُّمَ سليمانَ ضاحكًا كان بسبب قولِ النَّملة الحكيمِ

حرفُ الجرِّ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾؛ للسَّببيَّةِ، وهو يفيدُ أنَّ تبسُّمَهُ ضاحكًا كانَ بسببِ قولِ النَّملةِ، والَّذي

(1) القونوي، حاشية القونوي: 14/ 366، والآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 180.

أضحكَهُ مِنْ قولِها ثلاثةُ أمور: أحدُها: إعجابُهُ بدلالةِ قولِها على ظُهورِ رحمتِهِ ورحمةِ جُنودِهِ، وعلى شُهرةِ حالِهِ وحالِهم في بابِ التَّقوى. والثّاني: سُرورُهُ بما آتاهُ اللّهُ تعالى ممّا لم يُؤْتِ أحدًا، مِنْ إدراكِهِ بسمعِهِ ما همسَتْ بِهِ، ومِنْ إحاطتِهِ بمعناهُ، ولذلكَ اشتملَ دعاؤُهُ على استيزاعِ اللّهِ شُكرَ ما أنعمَ بِهِ عليهِ مِنْ ذلكَ، وعلى توفيقِهِ لزيادةِ العملِ الصّالحِ والتَّقوى[1]، والثالث: إعجابه بحذرها وتحذيرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالقول دون الصَّوت:

إفادةُ أنَّ قولَ النَّملةِ أفاد معنًى مفهومًا، وهو أخصُّ من الصَّوت

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالقول دون الصَّوت أو النُّطق؛ للدَّلالة على أنَّ قولها أفاد معنًى كاملًا فهمه سليمانُ ﷺ، وفهمه النَّمل من بني نوعها قبل ذلك، ولأنَّ القول أخصُّ من الصَّوت، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه صادرٌ من الحيوانات؛ لأنَّ الصَّوت قد يكون صادرًا من الحيوانات ومن الجمادات، ومن الإنسان، وبذلك يكون الصَّوت أعمَّ من القول والنُّطق والكلام[3].

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَقَالَ﴾:

إفادةُ الجملةِ أنَّ تبسُّمَ سليمان ﷺ، ناتجٌ عن قولها

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، فتفيدُ أنَّهُ قد تسبَّبَ عن قولِ النَّملةِ المذكورِ في الآيةِ السّابقةِ تبسُّمُ سليمانَ ﷺ، ودعاؤُهُ بالدُّعاءِ المذكورِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالقول دون الدُّعاء والنِّداء:

القولُ أعمُّ، والدُّعاءُ يُستخدم غالبًا في التَّضرُّع والشِّدَّة

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالقول في قوله تعالى على لسان سليمانَ ﷺ: ﴿وَقَالَ﴾ دون الدُّعاء أو النِّداء؛ لأنَّ القول أعمُّ منهما، فيشمل الدُّعاء والنِّداء، وفيه مناسبة مع قول النَّملة ﴿قَوْلِهَا﴾، وفي

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 356.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 179.
(3) الراغب، المُفرَدات: (صوت).

هذا دلالةٌ على أنَّ اللهَ أعطى لكلِّ جنسٍ من خلقهِ لغةَ التَّخاطبِ الَّتي يجمعها القول.

وأيضًا؛ لأنَّ الدُّعاءَ غالبًا ما يُستخدم في التَّضرُّع والشِّدَّة، والمقام هنا مقامُ إنعامٍ وعطاء، فناسبه التَّعبيرُ بالقول، وكأنَّ سليمان عليه السلام يقول بلسان الحال والمقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾.

بلاغةُ إيجازِ لفظ: ﴿رَبِّ﴾:

في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، وذلكَ أنَّ أصلَ الكلام: (وقالَ يا ربِّي)، فحُذِفَ حرفُ النِّداءِ وياءُ المُتكلِّم إيجازًا، وإشعارًا بأنَّهُ عليه السلام لمّا رأى دلائلَ قُدرةِ اللهِ، ورأى نعمةَ اللهِ عليهِ؛ كانَ في مقامِ قُرْبٍ، فجاءَ بهذا النِّداءِ القريبِ الموجَزِ.

الدَّلالة على شدَّة القرب، بالنِّداء الموجز القريب

غرضُ الإتيانِ بالنِّداءِ:

جيءَ بالنِّداءِ في قولِ الحقِّ تقدَّسَتْ آلاؤُهُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾؛ لأنَّ سليمانَ عليه السلام، أرادَ قبلَ طلبِ الحاجةِ أنْ يُقدِّمَ وسيلةً تُقرِّبُهُ مِنْ حصولِ مأمولِهِ ومرادِهِ، وهي نداءُ مَنْ لا يكونُ الدُّعاءُ والتَّضرُّعُ إلّا لهُ جلَّ وعزَّ.

النِّداءُ وسيلةُ التَّقرُّبِ بينَ يدي اللهِ المجيبِ الأقرب

سرُّ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ لا بالألوهيَّة:

عُبِّرَ بعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ في قولِ اللهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾، دون لفظ الجلالة (الله)؛ لأنَّ وصفَ الرُّبوبيَّةِ المُنبئَ بحسَبِ وضعِهِ اللُّغويِّ عنِ التَّربيةِ والإنعامِ والإحسانِ يناسبُ ما يُنبئُ عنهُ المقامُ مِنْ تذكُّرِ سليمانَ عليه السلام، ما أَوْلاهُ ربُّهُ ﷻ بحُسْنِ تربيتِهِ، مِنْ فَهْمِ كلامِ النَّملةِ وغيرِ ذلكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتي لا تُحصى، والمعنى: (وقالَ: أيُّها المُحسِنُ إليَّ أوزِعْني أنْ أشكرَ نعمتَكَ الَّتي أنعمتَ عليَّ).. إلخ[1].

دعاءُ الرُّبوبيَّةِ مقامٌ متعلِّقٌ بالإنعامِ والإحسانِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 144.

دلالةُ الأمرِ في ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ ﴿وَأَدْخِلْنِي﴾:

صيغةُ الأمرِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾، وقوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ خارجةٌ عن حقيقتِها إلى غرضِ الدُّعاءِ والابتهالِ؛ لأنَّها مِنَ العبدِ الأدنى إلى الرَّبِّ الأعلى العليِّ ﷻ.

صيغةُ الأمرِ خارجةٌ عن حقيقتِها إلى غرضِ الدُّعاءِ والابتهالِ

بلاغةُ الكنايةِ عن ضدِّ معنى (أَوْزَعَ):

قيلَ: (أوزعَ) مزيدُ (وزع) الَّذي هو بمعنى: (كفَّ)، والهمزةُ للإزالةِ، أيْ: أزالَ الوَزْعَ، أي: الكفَّ، والمُرادُ: أنَّهُ لم يتركْ غيرَهُ كافًّا عن عملٍ، وأرادوا بذلكَ الكنايةَ عن ضدِّ معناهُ، أي: الكنايةَ عن الحثِّ على العملِ، وشاعَ هذا الإطلاقُ، فصارَ معنى (أوزعَ): أغرَى بالعملِ، فالمعنى: وفِّقْني للشُّكرِ، ولذلكَ كانَ حقُّهُ أنْ يتعدَّى بالباءِ، فمعنى قولِهِ: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهِمْني[1]، وممّا يُذكر في سِرِّ التَّعبير بالوزع: أنَّه يطلب من ربِّهِ أن يجمع كلَّ جوارحِهِ ومشاعره وكلماته، كأنَّه يقول: (اجمع طاقاتي من أوَّلها إلى آخرها، على شكر نعمك)، يؤكِّد هذا المعنى اللُّغويُّ لكلمة ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾.

طلبُ الإلهامِ بالثَّباتِ على الشُّكرانِ على نِعَمِ الرَّحمن

دلالةُ ياءِ المتكلِّمِ في قوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾:

دلَّت ياء المتكلم في قوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ على الاعتراف بنعمة الله والتَّحدُّث بها، وليس افتخارًا بها، فسُليمان ﷺ، لم يغترَّ بِنِعَمِ الله عليه، ولم يفاخر بها، بل عرف حقَّ النِّعمة، واتَّجه إلى شُكرِها، فهو من باب التَّحدُّث بنعمة الله.

تحدُّثُ سليمانَ بنعمةِ اللهِ، دلالةٌ وعيٌ وإيمان

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ المؤوَّلِ:

المصدرُ المؤوَّلُ ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ منصوبٌ بنزعِ الخافضِ، وهو الباءُ، أيْ: بأنْ أشكرَ نعمتَكَ، والمعنى: اجعَلْني مُلازِمًا شُكرَ نعمتِكَ، وإنَّما سألَ اللهَ الدَّوامَ على

بيانُ أنَّ النِّعمةَ إذا شُكِرَتْ؛ قرَّت، وإذا كُفِرَتْ؛ فرَّت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 243.

شُكرِ النِّعمةِ؛ لِما في الشُّكرِ مِنَ الثَّوابِ، ومِن ازديادِ النِّعَمِ، فقد ورد: (النِّعمة وحشيَّةٌ قيدوها بالشُّكر؛ فإنَّها إذا شُكِرَتْ؛ قرَّت، وإذا كُفِرَت؛ فرَّت)[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالشُّكرِ دون الحمدِ:

مناسبةُ مقامِ الحديث عن النِّعمة العامَّة والخاصَّة

آثرَ البيانُ الحكيم التعبيرَ بالشكر دون الحمد في قوله: ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾؛ لوجود فرق بينهما، فالشُّكر هو عرفان الإحسان ونشره، ولا يكون إلّا عن يدٍ، أيْ: عن نعمةٍ وفضل؛ بخلاف الحمدِ الذي يكون عن يدٍ أو غير يدٍ، أو عن نعمةٍ تصلك أو تصل غيرك، وعلى هذا فالحمد أعمُّ من الشُّكر؛ لأنَّ الشُّكر يكون على النِّعمة الخاصَّة الواصلة إليك، وهذا ما يتناسب مع سياق الآية، فهي تتحدَّث عن النِّعمة الواصلة لسليمان ﷺ وعلى والديه، وهذا مقام الشُّكر للنِّعمة الخاصَّة المذكورة في قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ بخلاف النِّعمة العامَّة الواردة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾، فناسب معها التَّعبيرُ بالحمد في قوله: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لأنَّ نعمةَ العلم يشترك فيها كلُّ الأنبياء والرُّسل؛ بخلاف تسخير الجنِّ والإنس والطَّير.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

طلبُ استمرارِ الشُّكرِ وتجدُّدِهِ

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ على أنَّ سليمانَ ﷺ قد طلبَ استمرارَ الشُّكرِ في المستقبلِ وتجدُّدَهُ، بحيثُ يكونُ مُلازمًا لهُ، قائمًا بحقِّ اللهِ عليه، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ مَنْ أنعمَ اللهُ عليه، وأجزلَ لهُ العطاءَ؛ فهو خَليقٌ بأنْ يجعلَ الشُّكرَ مُستغرقًا لزمنِهِ كلِّه.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿نِعْمَتَكَ﴾ مُفردة:

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بالمُفرد، في قوله: ﴿نِعْمَتَكَ﴾ دون الجمع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 243.

(نِعَمِكَ)؛ لأنَّ النِّعمة في المفرد، تستغرق جميع أفراد النِّعَم، ولأنَّ كلَّ نعمةٍ تحتوي على نِعَم كثيرة، وهذا كفيل بطلب الشُّكر، ويؤكِّد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النَّحل: 18] فأسنَدَ العدَّ إلى المُفرد، والأصل أن يُسنَد إلى الجمع، فلمّا كانت النِّعمةُ الواحدة، في طيّاتها نِعَمٌ كثيرةٌ؛ أسنَدَ العدَّ إلى نِعَمٍ كثيرةٍ.

نعم الله تعالى على عباده لا غزيرة لا تُحصى

دلالةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿نِعۡمَتَكَ﴾:

أُضيفت النِّعمةُ لكافِ الخطابِ في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾؛ للدلالة على عِظَم قدر النِّعمة وشرف مكانتها، وعلى تخصيصها بالمُنعِم ﷻ، ولإفادة الاستغراقِ، أي: وقالَ: ربِّي أوزِعْني أنْ أشكرَ جميعَ نِعَمِكَ[1].

عِظَمُ النِّعمةِ وشرفها، والتَّضرُّعُ لاستجلابِ إعانةِ المولى

وفي إضافةِ النِّعمةِ إلى كافِ الخطابِ تصريحٌ بنسبةِ النِّعَمِ إلى المُنعِمِ بها ﷻ، وفي ذلكَ مزيدُ تضرُّعٍ واستجلابٍ للإعانةِ على المداومةِ على أنْ يشكرَ العبدُ ربَّهُ ﷻ على جميعِ نِعَمِهِ وآلائِهِ، سواءٌ دقَّتْ هذهِ النِّعَمُ أم جلَّتْ.

دلالةُ وصفِ النِّعمةِ بالاسمِ الموصولِ:

وُصِفَتِ النِّعمةُ بالاسمِ الموصولِ في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾، معَ أنَّ كونَهُ تعالى هو المُنعِمَ بها أمرٌ معلومٌ مِنَ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿نِعۡمَتَكَ﴾؛ لزيادةِ تحقيقِ كونِها منهُ سبحانَهُ[2]، ولذلكَ لم يقل: (نعمتَكَ عليَّ).

تحقيقُ كونِ المُنعِمِ، هو الله الأعظم

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾، دون صيغة المضارع؛ للدَّلالةِ على أنَّ إنعامَهُ سبحانَهُ أمرٌ قد تحقَّقَ، وثبتَ، وذلكَ يناسبُ مقامَ طلبِ الاستمرارِ على الشُّكرِ، فهو شكرٌ لنعمةٍ مُتحقِّقةٍ.

الدَّلالةُ على تحقُّقِ الإنعامِ، مناسبة لصيغة المضيِّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 176.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 144.

ومِنْ لطائفِ صيغةِ الماضي هنا - مع أنَّها وقعَتْ بعدَ صيغةِ المضارعِ، في قولِه: ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ - الإشارةُ إلى أنَّ الشُّكرَ مُستمِرٌّ على نِعَمٍ ماضيةٍ، معَ أنَّ العبدَ لا يخلو مِنْ نِعَمِ اللهِ في زمنٍ مِنَ الأزمان.

دلالةُ التَّعبير بالحرف (على):

علوُّ الإنعامِ على المُنعَمِ عليهِم، من كرم الله المعطي

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الاستعلاءِ (على) في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ على أنَّ الإنعامَ قد استعلَى استعلاءً مجازيًّا على المُنعَمِ عليهِم، وكأنَّهُ يُغطّيهم، ويغمُرُهم.

وفيه كذلك إشارةٌ إلى القيامِ بواجبِ الشُّكرِ والثَّناءِ على اللهِ تعالى؛ لأنَّه هو الذي يملك الإنعام، والبَشَر في هذا منتفعون بهذه النِّعَم، ولا يقدرون على إيجادها.

سِرُّ إدراجِ ذِكْرِ الوالدَيْن:

تمامُ برِّ الوالدين، وجبر التَّقصير نحوهما

أدرجَ سليمانُ عليه السلام ذِكرَ والدَيْه في قولِه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ تكثيرًا للنِّعمةِ، أو تعميمًا لها، فإنَّ النِّعمةَ عليهما نعمةٌ عليه، والنِّعمةَ عليه يرجعُ نفعُها إليهما لا سيَّما الدِّينيَّة[1]، فإنَّهُ إذا كانَ تقيًّا؛ نفعَهما بدعائِه وشفاعتِه وبدعاءِ المؤمنينَ لهما كلَّما دعَوا لهُ، وقالوا: رضيَ اللهُ عنكَ وعن والديكَ[2]، وممّا يُذكر في ذلك أيضًا أنَّ في ذلك جبرًا لأيِّ تقصيرٍ من الوالدَيْن في شكر المولى عزَّ وجلَّ.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ما أنعم اللهُ به عليه غير خاصٍّ به، بل هو عامٌّ شاملٌ لوالدَيْه؛ لكونه سببًا لذِكرهما بالخير والدعاء، ولأنَّ ما أنعم اللهُ به عليهما وصل إليه؛ لكونه سببًا بحسب الظاهر لنعمته، فتكون تلك النِّعمة بحسب تحقُّقها فيه نعمة، وبحسب تحقُّقها في الوالدين نعمة أخرى له[3].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 157.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 357، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 244.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 368.

علَّةُ تقديمِ سليمانَ نفسَهُ على والدَيْهِ:

كونُهُ في معرض الدُّعاءِ، قدَّم نفسَه، وثنّى بوالديه

ورد النَّصُّ القرآنيُّ بتقديم ذِكْر سليمان عليه السلام على والدَيْه في قولِهِ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾؛ وذلك لأنَّهُ هو المعروفُ في الدُّعاءِ؛ إذ النَّفسُ مُقدَّمةٌ في طلبِ المطالبِ[1].

سرُّ عطفِ العملِ الصّالحِ على الشُّكرِ:

استدامةُ الشُّكرِ على النِّعمةِ، وصولٌ بالشُّكر إلى القمَّة

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ عطفٌ على قولِهِ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾[2]، ونكتةُ هذا العطفِ: تتميمُ الشُّكرِ بذِكْرِ شُكْرِ الأركانِ بعدَ شُكْرِ اللِّسانِ المُستلزِمِ للجَنانِ، واستدامةُ النِّعمةِ[3]، وقيلَ: لمّا سألَ سليمانُ عليه السلام ربَّهُ شيئًا خاصًّا - وهو شكرُ النِّعمةِ - سألَ شيئًا عامًّا، وهو أنْ يعملَ عملًا يرضاهُ اللّهُ تعالى، فاندرجَ فيهِ شكرُ النِّعمةِ، فكأنَّهُ سألَ إيزاعَ الشُّكرِ مرَّتيْنِ[4]، فيكونُ الكلامُ مِنْ قبيلِ عطفِ العامِّ على الخاصِّ.

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدرِ المُؤوَّلِ:

العملُ الصّالحُ في الحالِ والاستقبالِ، يُفضي إلى حسن المآل

استُعمِلَ المصدرُ المُؤوَّلُ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ دون المصدر الصَّريح (العمل)؛ لأنَّ (أنْ) تُعيِّنُ الفعلَ المضارعَ المنصوبَ بها للاستقبالِ، فيكونُ العملُ الصّالحُ المَرْضيُّ أمرًا يُرجَى حصولُهُ ودوامُهُ في الحال والاستقبالِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

بيانُ طلبِ دوامِ العملِ الصّالحِ واستمراره

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ الدّالَّةِ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ في قولِ الحقِّ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ على أنَّ سليمانَ عليه السلام قد طلبَ جعْلَهُ مُداومًا على عملِ العملِ الصّالحِ في

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 368.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 176، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 244.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 157، والخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 39.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 222.

المستقبلِ[1]، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ مَنْ أنعمَ اللهُ عليهِ، وأجزلَ لهُ العطاءَ، فهو خَليقٌ بأنْ يعملَ العملَ الصّالحَ في حياتِهِ كلِّها[2].

وفيه إشارةٌ أيضًا إلى طلب ثوابِ الآخرة عن طريق شُكرِ النِّعمة، في قوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾، والتوفيق للعمل الصالح.

سِرُّ حذفِ الموصوف في السّياق:

العملُ الصّالحُ غايةُ الأنبياءِ، ومطمحُ الأصفياء

حُذِفَ الموصوفُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾ من باب الإيجاز، حيثُ لم يقل: (وأنْ أعملَ عملًا صالحًا)؛ وذلكَ لأنَّهُ قد شاعَ في الاستعمالِ أنْ يقال: (عملَ صالحًا) و(عملَ الصّالحاتِ)، دونَ تقديرِ موصوفٍ محذوفٍ؛ لأنَّ الصِّفةَ في مِثْلِ ذلكَ قد جرَتْ مَجْرى الأسماءِ.

وللإشارة إلى تمكُّن صفة الصَّلاح في العمل، بحيث لا يصدر منه إلّا العمل الصّالح، ويُؤكِّد هذا استعمالُ القرآن الكريم لهذا الأسلوب، في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 25]، من غير ذِكْرِ الموصوف.

سرُّ تقييدِ العملِ بلفظ ﴿صَٰلِحًا﴾:

التَّعريضُ بغيرِ الأعمالِ الصّالحةِ، استقرارٌ ونجاةٌ في الدّارين

دلَّ تقييدُ العمل بالصَّلاح على أنَّ العمل إذا كان غيرَ صالحٍ، فلا فائدة فيه؛ لأنَّه إمّا أن يكون صادرًا عن علمٍ؛ فيكون صاحبه آثمًا أو عن غيرِ علمٍ؛ فيكون صاحبه جاهلًا ولا فائدة في ذلك.

وممّا يُذكر في سِرِّ ذلك أنَّه لمّا عُلِمَ ممّا سبقَ أنَّ الشّاكرَ هو المُستغرِقُ في الثَّناءِ على المُنعِمِ بما يجبُ عليهِ مِنَ العملِ أو غيرِهِ بحسَبِ ما يقدرُ عليهِ، وكانَ العملُ ممّا يجوزُ أنْ يكونَ زُيِّنَ للعبدِ كونُهُ حسنًا، وهو ليسَ كذلكَ، قالَ سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾، أيْ: في نفسِ الأمرِ[3].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 176.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 148.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 148.

دلالةُ النَّكرة في قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾:

دلَّ التَّنكيرُ في قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾، على كثرةِ العمل الصّالح وتنوُّعِهِ الَّذي يدعو سليمان ﷺ ربَّهُ؛ ليوفِّقَهُ إلى كثرة الأعمال الصّالحة وتنوُّعها وعظم قدرها ومكانتها.

من هدي إلى صالح الأعمال؛ نال الرِّضا وحسن المنال

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿تَرْضَىٰهُ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بجملة ﴿تَرْضَىٰهُ﴾ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ على أنَّ رضا الله مقصودٌ هنا بالعمل الصّالح الَّذي يرضى عنه المولى ﷻ، وهذا ما يؤكِّده الموقع الإعرابيُّ لهذه الجملةِ، فهي صفةٌ مُؤكِّدةٌ إنْ أُريدَ بها كمالُ الرِّضا[1].

رضا الله غاية الأنبياء والمرسلين، وصفوة الصّالحين

وفي التَّعبيرِ بها دليلٌ على أنَّ العمل الصالح بابٌ من أبواب الوصول إلى الرِّضا بشرط ألّا يشوبَهُ شيءٌ من الرِّياءِ[2]، وعلى هذا تكون الصِّفةُ مُخصِّصةً.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في ﴿تَرْضَىٰهُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾، ولم يقل: (مرضيًّا) مراعاةً لموافقةِ الفعلِ للأفعالِ قبلَهُ - وهي ﴿أَشْكُرَ﴾ و﴿أَعْمَلَ﴾ - في الدَّلالةِ على الاستقبالِ، وممّا يُذكر في سِرِّ التَّعبير بالمضارع أنَّ سليمان ﷺ يرجو من الله قبول الأعمال الصّالحة الَّتي تصدر منه في الحال والاستقبال، والعمل الصّالح إذا لم يرضَ الله عنه؛ فلا فائدة منه، فكان التَّعبير بالمضارع موافقًا لتجدُّد العمل الصّالح.

مراعاةُ توافقِ الأفعالِ في الدَّلالةِ على الاستقبالِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالواوِ في الآية:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ لعطفِ هذه الجملةِ على ما قبلَها في قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾، فتفيدُ

المؤمن يرجو بعمله رضا الله ورحمته

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 39، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 176.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 368.

دخولَ هذهِ الجملةِ في جملةِ ما دعا بهِ سليمانُ ﷺ، وقيلَ في نكتةِ هذا العطفِ: إنَّهُ لمّا كانَ العملُ الصّالحُ المرضيُّ قد لا يُعلي إلى درجةِ المرضيِّ عنهُم؛ قالَ سليمانُ ﷺ مُعرِضًا عن عملِهِ، مُعترِفًا بعَجْزِهِ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾، أيْ: لا بعملي ﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، وقيلَ: أردفَ طلبَ المداومةِ على عملِ الصّالحِ بطلبِ إدخالِهِ الجنَّةَ؛ لعدمِ استلزامِ العملِ الصّالحِ بنفسِهِ إدخالَ الجنَّةِ[2].

بلاغةُ الكناية في قوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي﴾:

تظهر بلاغةُ الكناية في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في أنَّ المعنى: (واجعَلْني مِنْ أهلِ الجنَّةِ)[3]، فيكون الكلامُ كنايةً عن جعلِهِ مِنْ أهلِ الجنَّةِ[4].

من أُدخِلَ مع الصّالحين؛ حاز المبتغى في الدّارين

بلاغةُ الاستعارةِ في الآية الكريمة:

في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ استعارةٌ، وذلك بجعْلِ الإدخالِ في العبادِ الصّالحينَ مُستعارًا لجعلِهِ واحدًا منهُم، فشبَّهَ إلحاقَهُ بهم في الصَّلاحِ بإدخالِهِ عليهم في زُمْرتِهم، وطلبُهُ ذلكَ - وهو نبيٌّ، لا شكَّ في صلاحِهِ - مرادٌ بهِ الاستمرارُ والزّيادةُ مِنْ رفعِ الدَّرجاتِ؛ لأنَّ لعبادِ اللهِ الصّالحينَ مراتبَ كثيرةً[5].

إفادةُ الاستمرار والزّيادة مِنْ رفعِ الدَّرجاتِ

دلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾:

الباءُ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ للسَّببيَّةِ، وهي تدلُّ على أنَّ دخولَ الجنَّةِ المُعبَّرَ عنهُ بالإدخالِ في العبادِ الصّالحينَ لا يكونُ بعملِ العبدِ، إنَّما يكونُ

دخولُ الجنَّةِ بالرَّحمة لا بالعمل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 148.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 176.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 358.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 493.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 244.

برحمةِ اللهِ تعالى وفضلِهِ، ولذلكَ عوَّلَ سليمانُ ﷺ على رحمةِ اللهِ لا على عملِهِ[1].

سرُّ الإضافةِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾:

أُضيفتِ الرَّحمةُ إلى ضميرِ الخطابِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ لإظهارِ الافتقارِ الكاملِ لرحمةِ اللهِ الَّتي بها لا بغيرِها يكونُ دخولُ الجنَّةِ، ولملاءمةِ تناغمِ هذهِ الإضافةِ معَ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿نِعْمَتَكَ﴾، فسليمانُ ﷺ مغمورٌ بنعمةِ اللهِ، ومُتعلِّقٌ برحمةِ اللهِ.

إظهارٌ كامل الافتقارِ إلى الله تعالى، تواضعٌ مع الله وأدبٌ

دلالةُ التَّعبيرِ بالظَّرفيَّة:

دلَّ التَّعبيرُ بالظَّرفيَّة ﴿فِي﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ على أن العبادَ الصّالحينَ بمنزلةِ ظرفٍ يطلبُ سليمانُ ﷺ أنْ يُدخَلَ فيهِ، وفي هذا إبرازٌ لكمال خضوعه وتواضعه للّه ربِّ العالمين بأن يكون بدعائِهِ في داخل زمرة هؤلاء الصالحين، وأن يكونَ فردًا منهم، ويتساوى معهم في الصَّلاح والثَّواب.

بيانُ معنى إظهارِ التَّضرُّعِ إلى اللهِ، والتَّذلُّلِ له دون سواه

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿عِبَادِكَ﴾:

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بـ ﴿عِبَادِكَ﴾ على لسان سليمانَ ﷺ، دون أن يقول: (أَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في أَنْبيائك)؛ لأنَّ لفظ العبوديَّة أعمُّ، فيشمل الأنبياءَ وغيرهم، وفي هذا مزيدُ تذلُّلٍ وتضرُّع للّه ربِّ العالمين، قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: 3]، وقال عن أيّوب ﷺ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: 41]... إلى غير ذلك من الآيات، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ العبوديَّة من أعلى المقامات التي ينبغي البحث عنها والتوصُّل إليها.

من أخلصَ العبوديَّةَ للّه؛ كان مع الصّالحين من عباد الله

سرُّ الإضافةِ في لفظ: ﴿عِبَادِكَ﴾:

أُضيفَ لفظُ العبادِ إلى كافِ الخطابِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 549.

ذِكرُ العباد بالإضافة إلى المعبود، تشريفٌ وتكريم لهم

﴿بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ لتشريفِ العبادِ وتكريمهم بأنَّهم عبادٌ للهِ سبحانَهُ الَّذي تكونُ العُبوديَّةُ لهُ شرفًا للعبدِ وعزًّا، بخلافِ العُبوديَّةِ للبشرِ، فهي قَهْرٌ وذلٌّ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ العبادَ صاروا في حماية خاصَّة لا يدخل معهم إلّا مَن كان مثلهم.

سِرُّ طلبِ سليمانَ أنْ يُدخل في ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

الصّالحونَ درجاتٌ متفاوتةٌ، ومقاماتٌ متسامية

دعا سليمانُ عليه السلام ربَّهُ أن يجعله في عداد ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهو نبيٌّ، ومعلومٌ أنَّ درجات الأنبياءِ أعظمُ مِنْ درجاتِ الأولياءِ والصّالحينَ، فما السَّببُ في أنَّ الأنبياءَ يطلبونَ جعْلَهم مِنَ الصّالحينَ؟ فقالَ يوسفُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: 101]، وقالَ سليمانُ: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، والجوابُ: أنَّ الصّالحَ الكاملَ هو الَّذي لا يعصي اللّهَ، ولا يهمُّ بمعصيَةٍ، وهذهِ درجةٌ عاليةٌ[1].

نكتةُ اسمِ الفاعلِ: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

التَّنبيهُ على كونِ الصَّلاحِ صفةً راسخةً في الموصوفين بها

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هؤلاءِ قومٌ قد راضوا أنفُسَهم على التَّقوى والصَّلاحِ، حتَّى صارَ الصَّلاحُ مِنْ صفاتِهم الثّابتةِ الرّاسخةِ الَّتي لا تزولُ، فهو بمنزلةِ صفةٍ مِنْ صفاتِهم الَّتي جُبِلوا عليها.

سرُّ التَّرتيبِ في دعاءِ سليمانَ:

تقديمُ ما يكونُ وسيلةً إلى الثَّوابِ على الثَّوابِ

طلبَ سليمانُ عليه السلام ما يكونُ وسيلةً إلى ثوابِ الآخرةِ أوَّلًا، ثمَّ طلبَ ثوابَ الآخرةِ ثانيًا، أمّا وسيلةُ الثَّوابِ؛ فهي أمرانِ: أحدُهما: شكرُ النِّعمةِ السّالفةِ، والثّاني: الاشتغالُ بسائرِ أنواعِ الخدمةِ، أمّا الاشتغالُ بشكرِ النِّعمةِ السّالفةِ؛ فهو قولُهُ: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 549، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 222.

نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، وأمّا الاشتغالُ بسائرِ أنواعِ الخِدْمةِ؛ فقولُهُ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾، وأمّا طلبُ ثوابِ الآخِرةِ؛ فقولُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّبسُّم والضَّحك:

التَّبسُّمُ مبتدأ الضَّحكِ مِنْ غيرِ صوتٍ، والضَّحكُ يكونُ مع الصَّوتِ

اختُلِفَ في وجهِ الفرقِ بينَ التَّبسُّمِ والضَّحكِ، فقيلَ: إنَّ التَّبسُّمَ دونَ الضَّحكِ[2]، وقيلَ: هو ابتداءُ الضَّحكِ والأخذُ فيهِ[3]، وقيلَ: التَّبسُّمُ مبادئُ الضَّحكِ مِنْ غيرِ صوتٍ، والضَّحكُ انبساطُ الوجهِ حتَّى تظهرَ الأسنانُ مِنَ السُّرورِ معَ صوتٍ خفيٍّ، فإنْ كانَ فيهِ صوتٌ يُسمَعُ مِنْ بُعْدٍ؛ فهو القَهْقَهَةُ[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 549.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسم).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (بسم).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 175.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»